Semat
An International Journal

http://dx.doi.org/10.12785/semat//010105

المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية– جريماس نموذجا

سعيد بوعيطة/المغرب

Cognitive Reference for Narrative Semiotics – Greimas as a Sample

Said Bouita

Hai El Wehda – Warzazat - 45000 - Morocco
Email: Bouaita10@gmail.com

Received: 12 Nov 2012; Revised :9 Jan- 20 Feb 2013; Accepted: 23 Feb 2013
Published online: 1 May 2013

Abstract: This study tried to demonstrate the cognitive dimension of semiotic research. Each research in the branches of semiotic requires a deep search of the origins.

During this perception, this study identified the most important cognitive roots upon which the narrative semiotic through Paris School of Semiotics, private with Greimas as the real founder of this school.

This study has confirmed that the most important foundations of knowledge upon which this school are:

1 - The Russian formalist trend

2 - Linguistics various trends (Saussure, Jakobson...).

According to these roots, Geimas built a new knowledge and perception of the methodology to approach narrative texts. The latter based on perception of new and efficient to reflect on the meaning of the text.

Keywords: Semiotics, narrative, structure of text, linguistic.

© 2013 UOB , SPC, University of Bahrain

المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية جريماس نموذجا

سعيد بوعيطة / المغرب

حين بلور عالم اللسانيات فردينان دو سوسير / f. de. saussure نظريته اللسانية، اقترح بأنها ستندرج ضمن نظرية شاملة تتجلى في السميولوجيا.لكن إلى مرحلة متأخرة (في فرنسا على الأقل)، شكل الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس أهم مرجع للسميولوجيا على الرغم من كون أغلب تصوراته يلفها نوع من الغموض، نظرا لتشعب اهتماماته وعدم وضوح الرؤيا لديه. وفي المنحى الفلسفي، شكل كتاب ـ فلسفة الأشكال الرمزية ـ لإرنست كاسيرر/ E cassirer أهم مصدر للبحث السيميائي. أما المصادر ذات البعد المنطقي، فقد تجلت في أعمال كل من: فريج / frege، مرورا بروسل / russel، وكرناب وصولا إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس / ch. moris، في حين استند آخرون إلى الإرث السوسيري (نسبة إلى فردنان دو سوسير) من خلال البحث عن قيمة اللغة اللفظية داخل المنظومات الأخرى، وعلى رأسهم: إريك بويسن. وفي الحقبة نفسها برز ما أطلق عليه باللسانيات البنيوية. تجلت هذه الأخيرة في أعمال كل من: رومان جاكبسون، يالمسليف، وبنفنست. ينطلق هؤلاء من تصورات سيميائية لتحديد أهمية اللغة داخل المنظومات الأخرى (غير اللغوية). أما داخل المنظومة الفنية، فنجد أحد أقطاب حلقة براغ، وهو جان موكارفسكي، واقتفت أثره الباحثة الأمريكية سوزان لينجر التي ميزت بين المنظومة الفنية و المنظومة اللسانية.

بعد الحرب العالمية الثانية، تم جمع هذا الموروث السيميائي خاصة في كل من: أمريكا، فرنسا و الإتحاد السوفياتي. برزت على إثر ذلك أعمال هامة لكل من: كلود ليفي شتراوس، في مجال الانطروبولوجيا، رولان بارط في مجال النقد الأدبي، وجريماس في مجال السرديات. وبهذا تعددت اتجاهات السيميائيات بعد رائديها شارل ساندرس بيرس واللساني فيردينان دو سوسير. يمكن الحديث عن سيميائية التواصل (بويسن/ buyssens، بريطو/ Prieto، ومونان

/Mounin) وسيميولوجيا الدلالة مع رائدها الناقد الفرنسي رولان بارط / R barthes، وسيميائيات الثقافة مع الباحث الإيطالي أمبرطو إيكو /Uco ، ومدرسة باريس السيميائية (السيميائيات السردية) مع مؤسسها جريماس / Greimas و أتباعه: جوزيف كورتيس، جان ماري فلوش، جاك فانطاني.

وإذا كانت هذه المقدمة العامة لا تقدم ما يسوغها هنا على نحو كاف، فإنها تفرض نفسها من أجل تبيان أهمية هذا التعدد المرجعي للدرس السيميائي، وتعدد الحقول المعرفية التي ارتبط بها. لكون الإشارة إلى هذا التعدد و التنوع تجعل الباحث في هذا المجال يجعل في حسبانه ما يلي:

أ ـ إن كل محاولة لتلمس خصائص النظرية السيميائية في شموليتها، هو ضرب من المحال بحيث يتعذر الإلمام بها في شموليتها.

ب ـ ضرورة البحث في الجزئي وربطه بالشمولي لأن هذا الجزئي لا يمكن فهمه إلا من خلال الشمولي (الخلفيات المعرفية التي ينبني عليها). كما أن عزل الجزئي عن الشمولي قد يؤدي إلى مزالق عدة، أو إلى سوء فهم (ولعل هذا ما قد تعرفه بعض البحوث اليوم).

ج ـ عدم جدوى فصل التصورات و المفاهيم عن مرجعيتها المعرفية والفلسفية والحضارية.

هذه الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من التصور السابق، بحيث تحاول الانطلاق من البعد الشمولي للسميائيات السردية، وتحاول البحث في جذورها ومرجعيتها المعرفية. فعلى الرغم من كون اتجاه السيميائيات السردية، قد يبدو مستقلا بنفسه على مستوى الأسس المعرفية والجهاز المفاهيمي و المصطلحي(خاصة في مرحلة نضجه)، فالحقيقة عكس ذلك، لكونه ينبني على مرجعيات معرفية تمتد إلى مجموعة من الحقول المعرفية.نذكر منها: الاتجاه الشكلاني، اللسانيات، فلسفة العمل، الأنثروبولوجية البنيوية، نظرية العوامل، النحو التوليدي، إلخ.... إن النبش في هذه الحقول المعرفية المتعددة، يمنحنا إمكانيات تبيان الإرث المعرفي لهذا الاتجاه السيميائي و الوعي بأحواله النظرية.

أما اختيار جريماس باعتباره نموذجا لهذا الاتجاه السيميائي، فيرجع إلى دوره الهام في مدرسة باريس السيميائية من جهة، كما أنه شكل قطب الرحى بالنسبة لهذه المدرسة. فعلى الرغم من وجود مجموعة من الباحثين: ميشيل أريفي، كلود شابرول، جان كلود كوكي، إلخ.... فإن جريماس قد عمل بشكل بارز على تطوير هذا الإتجاه، و بناء صرح السيميائيات السردية حتى ارتبط إسمه بهذه المدرسة بشكل مباشر بحيث شكل كتابه المعروف ـ الدلالة البنيوية ـ (الصادر سنة 1966) اللبنة الأساسية لهذه المدرسة السيميائية (مدرسة باريس). كما أصدر فيما بعد مجموعة من الأعمال. أهمها: ـ في المعنى ـ و ـ في المعنى II ـ و قاموسه المعروف بالاشتراك مع جوزيف كورتيس. فقد شكلت هذه الأعمال في مجملها، أهم الدعائم المعتمدة في مقاربة النصوص السردية، و الأسس المعرفية لهذه المدرسة. فما هي أهم الجذور المعرفية لهذا الاتجاه السيميائي؟ وهل شكل هذا التعدد عنصر قوة أم خلل لمدرسة باريس السيميائية؟ وهل حاول جريماس بناء تصور نظري شمولي وحدد أدواته ومفاهيمه الإجرائية؟ هذه مجموعة من الأسئلة ضمن أخرى نحاول من خلالها استجلاء الجذور المعرفية لمدرسة باريس السيميائية، و تحديد أهم أسسها النظرية والمنهجية.

تندرج سيميائية مدرسة باريس (خاصة في بداياته)، داخل التيار الشكلاني البنيوي للسانيات (سوسير، يالمسليف). لقد عمل جريماس من خلال كتاب ـ الدلالة البنيوية ـ على رسم معالم التصور الإبستمولوجي الذي تندرج ضمنه نظريته مما يجعل مدرسة باريس (من خلال المساءلة

الجذرية) تقوم أساسا على نقد الاتجاه الوظائفي (مونين، مارتنييه) وعلى مساءلة السيميائيات البرسية لاختلافها معها في الأصول النظرية. وبما أن نظرية هذه المدرسة، نظرية عامة للمعنى، فإن وظيفتها تقويمية بالأساس، شأنها في ذلك، شأن الإبستمولوجيا العامة. لهذا فهي تعمل على تقويم باقي العلوم الاجتماعية. لكن في المقابل، فإن الطموح العلمي الذي وسم مرحلة بدايات هذه المدرسة ستنخفض و تيرته بتوالي المآزق النظرية و الإشكالات المنهاجية المعيقة.

إن النظرة إلى سيميائية باريس (من خلال جريماس)، تجعلنا نقف على عناصر قوتها الرئيسة والوقوف عند مبادئ ومسلمات الروافد التالية: الاتجاه الشكلاني (من خلال فلاديمير بروب)، اللسانيات، البنيوية، علم السرد.

يشير الناقد الفرنسي جان إيف تاديه[1]، إلى أنه لا يمكننا فهم أهمية و قيمة سيميولوجيا جريماس إلا من خلال فهمنا لكتاب ـ مورفولوجيا الخرافة ـ لفلاديمير بروب / v. prop (باعتباره من أهم أقطاب الاتجاه الشكلاني الروسي).

أ ـ بين فلاديمير بروب و جريماس:

لقد سعى بروب من خلال كتابه إلى الكشف عن خاصيات الخرافة باعتبارها جنسا أدبيا. وبحث في الأشكال و القوانين التي تتحكم في بنيتها. لهذا فهو يعمل على استبدال الرؤيا التكوينية بوجهة نظر بنيوية. لقد كان طموح بروب الكشف عن مجموعة العناصر المشتركة المشكلة للمتن الذي تتناوله (الحكايات العجيبة) بحيث عمل على عزل العناصر الدائمة و الثابتة التي لا تشكل وفق تصوره سوى تنويعات لبنية واحدة. ولهذا السبب، رفض بروب التصنيفات التي تستند إلى المواضيع والحوافز. كما تجاوز تلك المقاربة التاريخية التي تبحث في الجذور التاريخية لتلك الحكايات لكون هذه المقاربة الخارجية لا يمكن أن تكون نموذجا علميا يقوم بتحديد خصائص الحكاية. لذا يرى بضرورة تحديد الخصائص الشكلية لأن (التحليل البنيوي لكل مظهر من مظاهر الفولكلور هو الشرط الضروري لدراسة مظاهره التاريخية، ودراسة القواعد الشكلية هي المدخل لدراسة القواعد التاريخية)[2]. إن هذا التصنيف يستند إلى قواعد علمية وليس للاعتباطية.

من خلال هذا التصور، عمل بروب على البحث عن عناصر أخرى (على مستوى آخر، هو مستوى الوظائف. و ليس مستوى الشخصيات. وبهذا يمكن طرح إمكانات توليدية جديدة. فالتحليل الشكلي يمكننا من الوصول إلى شيء آخر يمكن تحديده في الشكل الأصلي للحكاية)[3]. ولتحديد مجموعة من القواعد التي شكلت نموذجا عاما للتصور البروبي، انطلق هذا الأخير من مجموعة من الفرضيات نحددها كالتالي:

1 ـ كون العناصر الثابتة داخل هذه الحكايات، تكمن في وظائف هذه الشخصيات. والوظيفة حسب بروب (فعل تقوم به شخصية معينة من زاوية دلالته داخل البناء العام للحكاية)[4] بمعنى أن الوظائف هي الخالقة للشخصيات وليس العكس.

2 ـ حدد بروب عدد الوظائف داخل الحكاية في واحد و ثلاثين وظيفة. لكن هذا لا يعني أن كل حكاية تتضمن هذه الوظائف كلها. فقد تصل إلى هذا العدد، وقد تكون أقل من ذلك. والجدير بالذكر أن تتابع الأحداث له قوانينه ومنطقه الخاص على حد تعبير كلود بريموند[5]. فالسرد الأدبي يملك قوانين متشابهة.

---

1 Jean yves Tadié , la critique littéraire au xx siècle , 1ère éd , belfond , 1987 , paris , p : 215.

2 بنكراد (سعيد) السيميائيات السردية ، (منشورات الزمن) الطبعة الأولى ، 2001 ، الرباط (المغرب) الصفحة :18 .

3 السيميائيات السردية (مرجع سابق) ، الصفحة : 19 .

4 المرجع نفسه ، الصفحة : 24 .

5 C . Bremand ,communications 8 , paris , 1981 , p : 175.

لكن بروب ينظر إلى المعطى الحكائي من خلال التجلي السطحي فقط، ويعتبر هذا التجلي حقيقة نصية خالصة. فما يقع على السطح (حسب بروب) هو وحده القابل للتصنيف و النمذجة على الرغم من تنوع المتن و تعدده. وهذا الذي سيبني عليه ليفي شتراوس تناوله وجريماس فيما بعد. يشير جريماس إلى أهمية التصور البروبي قائلا: (إن قيمة النموذج البروبي لا تكمن في عمق التحاليل التي تسنده، ولا في دقة صياغته، و إنما تكمن في قدرته على الاستفزاز، وطاقته على إثارة الفرضيات: ذلك أن تجاوز خصوصية الحكاية العجيبة في كل الاتجاهات هو الذي طبع مسيرة السيميائية السردية منذ بداياتها)[6].

ب - بين كلود ليفي شتراوس و جريماس:

لقد انطلق ليفي شتراوس من تصورات بروب السابقة، لكنه أعاد صياغاتها حسب تصوراته الجديدة. فشتراوس، يرى بأن بروب قد أضاع المضمون (مضمون الحكاية) في رحلته من الملموس إلى المجرد. وسيذهب إلى أن ما اعتبره بروب عنصرا ثانويا وغير وظيفي، سيصبح أساس الحكاية وأساس تلوينها الثقافي بمعنى أن (المضمون هو الذي يؤسس خصوصياتها باعتبارها عنصرا يعود إلى ما يميز هذه المجموعة البشرية عن تلك)[7]. مما جعل شتراوس، يلاحظ أن مجموعة من الحكايات في الهند وفي أمريكا، تعتمد أفعالا متشابهة و مختلفة.

ولا يمكن استبدال أنواع هذه الحكايات دون أن تخلق تغييرا بالكون الدلالي الخاص بإحدى هذه الحكايات. لأن حضور هذا العنصر أو غيابه، هو الذي يحدد في النهاية البعد القيمي لحكاية معينة. وبهذا يتجاوز شتراوس فكرة الحديث عن العناصر المتحولة إلى الحديث عن مضمون الاستبدال بمعنى الانتقال من كون دلالي إلى أخر يختلف عن السابق.

ج - جريماس و اللسانيات:

لقد ارتبطت السيميائيات السردية بالإرث اللساني من خلال مجموعة من المفاهيم. ففي مقاله الصادر سنة 1956 (راهنية النزعة السوسيرية) يرى جريماس ضرورة استفادة العلوم الإنسانية من ثنائية سوسير بحيث يشير إلى كون أصالة مساهمة سوسير في تحول نظريته الخاصة التي تخص فهم العالم باعتباره شبكة من العلاقات أو باعتباره بناءا لأشكال ذات معنى إلى نظرية للمعرفة ومنهاجية لسانية. لقد أشار سوسير إلى كون السيميائيات مجال أعم من مجال اللسانيات. يشير إلى (أن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام. والقوانين التي ستكتشفها السيميائيات ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات)[8].

لكن رولان بارط، عمل على قلب هذه المعادلة حين اعتبر السميولوجيا فرعا من اللسانيات. يقول في مقدمة كتابه - مبادىء في علم الدلالة - (يجب من الآن تقبل إمكانية قلب الاقتراح السوسيري. لكن الفرع هو السميولوجيا باعتباره فرعا من اللسانيات)[9].

من خلال هذا التصور استلهم جريماس مجموعة من الأدوات الإجرائية: لسان /كلام، دال /مدلول، نظام /سيرورة (بالمسليف). وعلى الرغم من عدم إكمالها، فقد شكلت الأساس الإجرائي داخل النظرية السيميائية. أما بالنسبة لحلقة براغ اللسانية، فقد اعتمد جريماس مفهوم الثنائية التي تساهم في تشييد البنية الأولية للدلالة. وقد حدد هذه الثنائية باعتبارها علاقة بين حدين. كما ميز

6 Courtès (joseph) , introduction à la sémiotique narrative et discursive , éd , hachettes , 1976, p : 10 .
7 Levistrauss (claude) , anthropologie structurale , 2 ème éd , plon ; paris , 1973 , p : 95 .

8 فردنان دو سوسير ، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة : صالح القرمادي ، محمد الشاوش ، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، تونس / ليبيا ، 1985.
9 رولان بارط، مباديء في علم الدلالة، ترجمة: شكري البكري، منشورات عيون المقالات،(الدار البيضاء / المغرب)، الصفحة :7.

بين مفهوم الثنائية العلمية الاجرائية و المنهاجية الثنائية. وقد استلهم جريماس هذه الثنائية من اللساني رومان جاكبسون / R Jakobson. تلك الثنائية التي تقر بوجود تقابل بين علاقتين: علاقة التناقض، علاقة التضاد (علاقة الحضور والغياب). كما اهتم جريماس (على المستوى اللساني كذلك) بأعمال كل من يالمسليف و برونديل. وذلك من زاويتين:

- تتجلى الأولى في محاولة تجاوز الإشكالات و المآزق التي تثيرها هذه الثنائية عند مدرسة براغ.
- أما الثانية: فتكمن في المفاهيم الإجرائية التي يمكن أن توفرها النظرية السيميائية وهنا تبرز أهمية هذه الأعمال باعتبارها رافدا أساسيا لهذا الاتجاه السيميائي.

ثمة رافد أخر لهذا الاتجاه السيميائي تجلى في النحو التوليدي مع تسنيير /tesnière. بحيث شكلت الخلفية الأساسية التي بنى عليها جريماس نظريته العاملية. فتسنيير يعتبر الفعل /Verbe، مركزا منظما للعلاقات العاملية مما جعله يقسم الأفعال إلى نوعين: أفعال الحدث وأفعال الحالة. وبذلك يحرص تسنيير في نموذجه (على مطابقة الأدوار الدلالية مع العلاقات النحوية)[10]. إن العامل الفاعل دلاليا هو ذاته الفاعل تركيبيا. يقسم تسنيير الملفوظ على نحو تقسيمه للجملة إلى ثلاثة مكونات أساسية: الفعل، الفاعل و المفعول به. لكن العنصر الضامن لاستمرارية الملفوظ هو هذا التوزيع للأدوار.أما فيما يتعلق بطبيعة هذه الأدوار العاملية، فقد أعاد جريماس تعديلها بحيث صاغها بشكل ثلاثي: المعيق (مثلا) عبر استبداله بمقولتين عامليتين على شكل تقابلات:

- ذات vs موضوع.
- مرسل vs مرسل إليه.

سيقوم جريماس بتعميم هذه البنية على الخطاب، ويتجاوز بذلك الجملة (التي اهتم بها اللسانيون أكثر). وذلك من أجل وضع بنية للخطاب السردي عامة. وبهذا يقترح نوعين من التعديلات:

1 ـ تقليص العوامل وردها إلى وضعها الدلالي.

2 ـ تجميع كل الوظائف المنضوية داخل متن معين، والاعتماد على عامل دلالي واحد. لكي يكون لكل عامل بعده الدلالي الخاص.

ومن هذا المنطلق يرى جريماس بأن (جل العوامل كيفما كانت العلاقة التي تجمعهم يمثلون التمظهر في كليته)[11].

جريماس و السيميائيات السردية (مدرسة باريس):

إن الحديث عن جريماس ليس عملية بسيطة. تنحصر في استعراض أهم التصورات المعرفية التي قدمها فحسب، بل هو تناول معقد يتجاوز تلك الفردية ليتحول إلى جرد موضوعي يسعى إلى تقديم تصور نظري لاتجاه معرفي / مدرسة باريس السيميائية الذي اقترن اسمه باسم هذا الباحث (جريماس).

يتعلق الأمر في هذا الإطار، بالاتجاه السيميائي الفرنسي المعروف بطريقته في تناول النصوص و التعامل معها.

مستويات النص:

لقد اهتم جريماس أساسا بالشروط الداخلية للمعنى في النص، لأن التحليل حسب جريماس، يجب أن يكون محايثا بحيث يقتصر الاشتغال النصي لعناصر المعنى دون اعتبار للعلاقة التي قد يقيمها النص مع أي عنصر خارجي لأن المعنى سيعتبر (كأثر وكنتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة)[12] مما يستوجب (لتحديد ذلك)، التعرف أولا على الوحدات المشكلة للنص باعتباره نسقا وبنية، وذلك من أجل تحديد مستويات الوصف التي تتوزع على

10 بادي (محمد) ، سيميائيات مدرسة باريس، مجلة ـ عالم الفكر ـ العدد 3 ، المجلد 35 ، يناير / مارس ، 2007 ، الصفحة :299.

11 Greimas(AJ) , Du Sens II, éd , seuil , paris , 1983 , P: 67.

12 جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية والخطابية، ترجمة: جمال خضري ، منشورات الإختلاف ، الجزائر، 2007، الصفحة: 12 .

هذه العناصر قصد وصفها وضبط قواعدها المنظمة لها. ولعل هذا أول شيء عمل السيميائيون على تحديده. وبهذا تم تقسيم النص إلى مستويين:

أ ـ المستوى السطحي / niveau de surface.

ب ـ المستوى العميق / niveau de profond.

في المستوى الأول / السطحي يخضع فيه السرد (بكل تمظهراته) لمقتضيات المواد اللغوية الحاملة له بمعنى مجموعة العناصر التي تدرك من خلال التشخيص ذاته. ويتعلق الأمر في هذا المستوى، بالنظر إلى النص السردي في تجلياته الخطية المباشرة كما يقرأه قارىء عادي[13]. ويشتمل هذا المستوى السطحي على تركيبتين:

1 ـ تركيبة سردية: تعمل على ضبط التوالي والترابط الخاص بالحالات والتحولات. بحيث يتم الاعتماد في هذا المستوى على المكون السردي الذي يقوم بتنظيم تتابع حالات الشخصيات وتحولاتها. وفي هذا الإطار، كان لزاما عليه القيام بعملية تشريح البنيات السردية لكونها عبارة عن جملة من الحالات والتحويلات التي تطبع الشخوص من خلال الأدوار التي تؤديها في إجراء التحويل[14]. يتم هذا التحويل عبر مسار التحولات التي تعرفها بنية النص الداخلية. مسار ينطلق من الحالة الأولية /Etat initial،وصولا إلى الحالة النهائية /Etat final. تعمل هذه التحولات على استرجاع موضوع القيمة / Objet de valeur من أجل الإمساك بجوهر الدلالة.

2 ـ دلالة سردية: تقوم على تحديد الترابط الخاص بالوجوه ومولدات المعنى داخل النص.

13 رولان بارط، درس السميولوجيا ، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، الصفحة:78.3.

14 بنكراد (سعيد) ، السيميائيات السردية ، (مرجع سابق) ، الصفحة : 70 .

يتم في هذا المستوى تناول المكون الخطابي الذي يتحكم في تسلسل الصور و آثار المعنى[15]. ويسعى هذا المستوى إلى إعطاء شكل محدد لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحويلات في الخطاب. والنص فيه عبارة عن متتالية من الحالات والتحويلات، ومنه (تعنى السيميائية بنظرية الدلالة وإجراءات التحليل التي تساعد على وصف أنظمة الدلالة) [16]، خاصة السيميائية السردية، والتي تطرح دائما مشكلة المعنى من خلال وضع تصنيف للملفوظات السردية les énonces narratifs والتي تعتبر أصغر الوحدات الخطابية المكونة للنص السردي تتعامل مع النص (باعتباره فضاءا لغويا ومحددا لعدد لامتناهٍ من الاستطرادات الممكنة)[17]. كما حاولت تقليص المسافة بين الوجه المجرد للنظرية وبين وجهها المتحقق عبر مزج النظرية بالنص إلى الحد الذي تذوب فيه الفواصل بينهما ليصبح أثر ذلك التنظير تطبيقا لأن دافعها هو البحث عن (مولدات النصوص وتكوناتها البنيوية الداخلية.وتبحث جادة عن أسباب التعدد ولا نهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية)[18]. لقد طرح جريماس في نظريته هذه مشكل المعنى لأن مقاربة نص ما،لا يكون لها معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأي تحليل. وبهذا تشكل هذه البنيات الداخلية برمجة أولية للتوليد الدلالي من خلال استيعابها لأشكال خطابية متنوعة، وذلك كما يشير الباحث سعيد بنكراد عن طريق (صب هذه الحدود المجردة داخل الوعاء الزمني وداخل الوعاء الفضائي)[19].وهكذا عوض أن

15 Greimas (a.j) , Sémantique structurale ,éd , larousse , Paris , 1976 , p : 177 .

16 بنكراد (سعيد)، السيميائيات: مفاهيمها و تطبيقاتها، ط 1 ، منشورات الزمن ، (الرباط / المغرب)، 2003 ، الصفحة : 78.

17 بوطيب (عبد العالي)، غريماس و السيميائيات السردية ، مجلة : علامات في النقد (السعودية)، الجزء 22، المجلد 6 ، ديسمبر 1996 ، الصفحة :105.

18 Greimas , Du sens II , (ibd) , p : 113.

19 بنكراد (سعيد)، السيميائيات السردية (مرجع سابق) ، الصفحة : 70.

نتحدث عن الحياة من خلال حدود قيمة مجردة. سيكون بإمكاننا الحديث عن هذه القيم من خلال قصة تضع للتداول قيمة الإسعباد في إرتباطها بكل القيم الموازية: المضادة أو المتطابقة. وهكذا يتطلب الأمر إدخال كائنات تجسد هذه القيم وتأخذ على عاتقها مهمة تشخيصها. إن هذا ما يندرج في البنيات العاملية التي سنعمل على تناوله.

❖ **النموذج العاملي:**

النموذج العاملي بوصفه نسقا:

حين طرح جريماس هذا التصور، عمل على تجاوز ثغرات أنموذج بروب الوظائفي، فعمل على اختزال الوظائف التي حددها بروب من إحدى و ثلاثين وظيفة، إلى ستة عوامل. كما أن جذور هذا التصور الجريماسي تمتد إلى أعمال سابقة (نموذج بروب في تناول الحكاية، نموذج سوريو في تناوله للنصوص المسرحية، نموذج تسنيير في اهتماماته بالنحو البنيوي).انطلاقا من هذه النماذج الثلاثة، في تنوعها و اختلافها في التصور المنهجي وحقول الاشتغال (الحكاية، المسرح)، صاغ جريماس نموذجه التأسيسي الذي ينتقل فيه من العلاقات (كما جسدها المربع السيميائي) إلى العمليات[20]. وبهذا عمل جريماس على تجاوز ما ذهب إليه بروب من حيث ضبط دوائر الاعمال في الحكايات دون ربط لها بمحتوى تلك الحكايات.كما تجاوز كذلك تصور سوريو فيما استخرجه من جرد للأدوار في كتابه ـ 200,000 موقف درامي .. واقترح تصورا قوامه ستة فواعل. تصلح (حسب تصوره) لكل أشكال السرد. لكن هذا التصور يمتلك مرونة تمكنه من اتخاذ صورة جديدة في كل ترهين سردي جديد. تترابط هذه الفواعل (حسب جريماس) وفق ثلاثة علاقات: علاقة الرغبة: بين الراغب /الذات والمرغوب فيه /الموضوع. تهيمن على هذا المحور صيغة الإرادة. علاقة الصراع: بين المساعد (مساعد الذات) والمعيق (معيق الذات). تهيمن على هذا المحور صيغة القدرة. علاقة التوصل: بين المرسل (الطالب) والمرسل إليه (الحاصل على موضوع الطلب). وتهيمن على هذا المحور، صيغة العلم. يعد هذا النموذج بنية قابلة لفهم المتخيل البشري وانعكاسا للكون الجماعي. يمكن صياغته كالتالي:

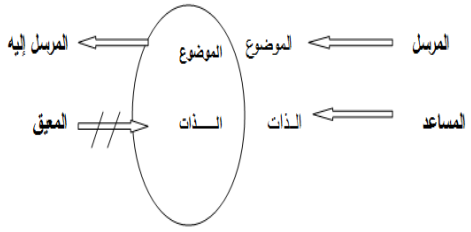

ينظر جريماس إلى هذا النموذج وفق ثلاثة أزواج عاملية:

أ ـ المرسل / المرسل إليه (أو محور التواصل): يتجلى دور العامل المرسل في إقناع العامل الذات بالبحث عن موضوع القيمة. كما يقدم المسار السردي باعتباره فاعلا تأويليا. أما المرسل إليه فهو المستفيد من الموضوع.

ب ـ الذات / الموضوع: يشكل هذا الزوج أساس النموذج العاملي. بحيث يشكل محور الرغبة (رغبة الذات في الحصول على موضوع القيمة بعد إقناعها من قبل المرسل).أما الموضوع، فهو المرغوب فيه من قبل الذات.

ج ـ المساعد/المعيق: يرتبط بحالة الصراع، ودور كل منهما ضمنه. الأول/المساعد يساعد العامل الذات في البحث عن موضوع القيمة. في حين يعمل الثاني/المعيق على تعطيل الذات في حصولها على موضوع القيمة.

20 العابد (عبد المجيد) ، مباحث في السيميائيات، ط: 1 ، دار القرويين للطباعة، الدار البيضاء / المغرب، 2008 ، الصفحة: 39.

ولعل هذا النموذج بعلاقاته الثلاث، يضعنا أمام العلاقات المشكلة لأي نشاط إنساني. كما يشكل طريقة في تعريف الحياة ومنحها معنى[21].

النموذج العاملي بوصفه إجراءً:

إذا كان النموذج العاملي بوصفه نسقا عبارة عن بنية ساكنة، فإنها لا تعرف نوعا من الديناميكية إلا من خلال العبور من النسق إلى الإجراء بمعنى محاولة الانتقال بهذه العناصر المشكلة للنموذج العاملي من بعدها النظري / المجرد إلى وجود مشخص (من التصور إلى التحقق) لهذه العلاقات. ويتجلى هذا الجانب على مستوى الخطاطة السردية عبر أربع مراحل لأن الانتقال من حالة إلى أخرى لا يتم عن طريق الصدفة بل من خلال سلسلة من القواعد الضمنية. لكن غياب هذه القواعد يعطي نصا سرديا غير منسجم. يقوم هذا النموذج على أربع مراحل:

1 ـ المرحلة الأولى / التحفيز:

يتم خلالها إقناع العامل الذات من قبل المرسل بالبحث عن موضوع القيمة، بحيث يقوم هذا العامل بتأويل هذا الإقناع. إن هذا التحفيز داخل البعد الذهني يجعل منه مرحلة سردية سابقة على الفعل الحدثي تحصر المعنى وتحدد في الوقت نفسه. تمثل هذه المرحلة بالنسبة لتطور البرنامج السردي مرحلة ابتدائية. يتخذ فيها البرنامج السردي شكله على مستوى التصور الاحتمالي. أما من وجهة نظر الفاعل الإجرائي، فتشكل المرحلة التي يتم فيها امتلاكه القيم الاستعمالية الاحتمالية. ونوضح ذلك من خلال الرسم التالي:

إن أهم ما يميز هذه المرحلة من السرد هو فعل التأثير أو ما أسماه كورتيس / Courtés بالفعل الإقناعي[22].

2ـ المرحلة الثانية / القدرة:

إن وظيفة الإقناع التي يسعى إليها المرسل لا تكفي لتحقيق الرغبة، بل لابد من تحقق الرغبة، وهي الشروط الضرورية لتحقيق الإنجاز المتجلية في التالي: إرادة الفعل، القدرة على الفعل، وجود الفعل، معرفة الفعل.وجلها ترتبط بالبعد التداولي. هذه بعض الشروط العامة المحددة لحالة ذات سردية تستعد للمرور إلى الفعل / الإنجاز.

3ـ المرحلة الثالثة / الإنجاز أو فعل الكينونة:

تشكل هذه المرحلة نوعا من التحول لحالة معينة.تقتضي هذه العملية عاملا / agent هو الفاعل الإجرائي بحيث يتم الانتقال إلى المحقق[23]).وهذا التحقق يتطلب برنامجا أساسيا هدفه الحصول على موضوع القيمة. غير أن تحقق هذه الرغبة خاضع للبنية الجدلية التي تحكم النموذج العاملي إذ نجد برنامجا مضادا يقوم به فاعل إجرائي مضاد. وفي الوقت الذي تطرح فيه العلاقات القائمة على المواجهة والصراع يتم المرور من الوضع المجرد إلى التمثيل السجالي لمجموع الخطاطة السردية.

21 بنكراد (سعيد) ، السيميائيات : مفاهيمها و تطبيقاتها ، (مرجع سابق) ،الصفحة : 70.

22 Greimas (AJ) , Courtes (J) , dictionnaire raisonné de la théorie de langage , éd , Hachette , paris , 1976 , p : 177

23 Courtes (J) , introduction à la sémiotique narrative et Discursive ,) Ibd), 1976 , p : 120.

4ـ المرحلة الرابعة / الجزاء:

عبارة عن مرحلة سردية نهائية داخل المسار التوليدي. إنه الحلقة الرابعة داخل الخطاطة السردية ونقطة نهايتها.وفي هذا الإطار يجب النظر إلى الجزاء باعتباره حكما على الأفعال التي يتم إنجازها من الحالة البدئية إلى الحالة النهائية. إنه حكم على الإنجاز[24]. ويمكن تبيان هذه المراحل من خلال الجدول التالي:

تحفيز	قدرة	إنجاز	جزاء
فعل الفعل علاقة مرسل فاعل إجرائي (إقناع ـ تأويل)	كينونة الفعل علاقة فاعل إجرائي برنامج استعمال (مواضيع جيهية)	فعل الكينونة علاقة فاعل إجرائي برنامج أساس (مواضيع قيمة)	كينونات الكينونة علاقة مرسل فاعل إجرائي (تقويم)

لقد قاد هذا التصور جريماس إلى النظر إلى النص السردي من حيث هو انتقال من محتوى أولي إلى محتوى نهائي عبر مسالك مخصوصة. ومن هذين القطبين استخلص ما نعته ب ـ المربع السيميائي ـ. ومن هذا المنطلق حدد جريماس القصة باعتبارها (تتابعا للملفوظات ـ تحاكي وظائفه ـ المحمولات لسانيا، مجموعة من التصرفات الموجهة إلى هدف. و للقصة من حيث هي تتابع بعد زمني: ذلك أن التصرفات التي تعرض فيها تترابط فيما بينها بعلاقات أسبقية وتبعية)[25].

إن التصور العام الذي يقدمه جريماس يقود إلى الوقوف على البنية العميقة التي تسبق التحقق السردي المتجسد في الخطاب. كما أن هذا التصور (المرتبط بالمربع السيميائي) قد أسس لسميائيات عامة لا تنحصر في مجال السرديات، بل تتجاوزه إلى مجالات أخرى.

تركيب واستنتاجات:

لقد تنوع الإرث المعرفي لمدرسة باريس السيميائية (جريماس). لكن على الرغم من هذا التنوع، فقد تم بناؤه بنوع من الانسجام أدى إلى بناء نظرية عامة للدلالة. ويلخص لنا زيلبربرج هذا في قوله التالي: (فليفي شتراوس، مثلا يشير إلى تناقض المشروع البروبي: فتح و إغلاق للسردية. أما تنيير فيستثمر خصوبة العلاقات التركيبية، و يضيف إلى النشاط الإبدالي، كما يفهمه ليفي شتراوس بعدا تركيبيا مترسخا. وفي المقابل يتجلى كرم ميرلو بونتي في معارضة تحفض يالمسليف بالانفتاح على الذات)[26].

وهكذا يبقى المشروع الجريماسي وفيا لإرث يالمسليف خاصة، وذلك من خلال انفتاحه على الفلسفة الظاهراتية.

لكن على الرغم من غنى النظرية السيميائية عند جريماس وتعدد جوانب منهجه وأدواته الإجرائية، فإنه يتميز بخصائص عامة تطبع تصوره المعرفي وأدواته المنهجية والإجرائية. ولعل أولى هذه الخصائص كونه منهجا محايثا. يركز على بنية النص. في حين أن العلاقة التي تقوم بين العمل الأدبي ومحيطه الخارجي، لا ترقى (في إطار هذا التصور المنهجي) إلى مستوى تأسيس معنى عميق للنص. وثاني الخاصيات، كون المنهج السيميولوجي، يتقاطع مع المنهج البنيوي. وذلك من خلال المفاهيم و التصورات المعرفية (البنية السطحية، البنية العميقة، النظام، العلاقات.

24 العابد (عبد المجيد) ، مباحث في السيميائيات ، (مرجع سابق) ، الصفحة ، 39 .

25 Greimas , du sens (Ibd) , p : 187.

26 Zilberberg , Sémitique , épistémologie et négativité . 1997, p : 121.

أما الخاصية الثالثة، فتكمن في اهتمام السيميائيات بالخطاب في بعده السردي.فتجاوز بذلك حدود الاهتمام بالجملة. وهي دعوة سبق لرولان بارط أن دعا إليها.

المراجع

المراجع العربية:

بادي (محمد)، سيميائيات مدرسة باريس، **مجلة ـ عالم الفكر** ـ العدد 3، المجلد 35، يناير / مارس، 2007، الصفحة:299.

بنكراد (سعيد)، السيميائيات: مفاهيمها و تطبيقاتها، ط 1، **منشورات الزمن**، (الرباط / المغرب)، 2003، الصفحة: 78.

بنكراد (سعيد) **السيميائيات السردية، (منشورات الزمن)** الطبعة الأولى، 2001، الرباط (المغرب) الصفحة:18.

بوطيب (عبد العالي) ، **غريماس و السيميائيات السردية** ، مجلة : علامات في النقد (السعودية) ، الجزء 22، المجلد 6 ، ديسمبر 1996

جوزيف كورتيس، **مدخل إلى السيميائية والخطابية**، ترجمة: جمال خضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، الصفحة: 12.

رولان بارط، مباديء في علم الدلالة، ترجمة: شكري البكري، **منشورات عيون المقالات**، (الدار البيضاء / المغرب)، الصفحة:7.

رولان بارط، درس السميولوجيا، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط 3 **المؤسسة العربية للدراسات والنشر**، بيروت، 1992، الصفحة:78.

العابد (عبد المجيد)، **مباحث في السيميائيات**، ط: 1، دار القرويين للطباعة، الدار البيضاء / المغرب، 2008، الصفحة: 39.

فردنان دو سوسير، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، **الدار العربية للكتاب**، تونس / ليبيا، 1985، الصفحة: 32.

المراجع الأجنبية:

C. Bremand, communications 8, paris, 1981, p: 17.

Courtes (J), introduction à la sémiotique narrative et Discursive, (Ibd), 1976, p: 120 Courtes (J), introduction à la sémiotique narrative et Discursive, (Ibd), 1976, p: 120.

Courtès (joseph), introduction à la sémiotique narrative et discursive, éd, hachettes, 1976, p: 10.

Greimas (a.j), Sémantique structurale, éd, larousse, Paris, 1976, p: 177.

Greimas (AJ), Courtes (J), dictionnaire raisonné de la théorie de langage, éd, Hachette, paris, 1976, p: 177

Greimas (AJ), Du Sens II, éd, seuil, paris, 1983, P: 67.

Greimas, du sens (Ibd), p: 187.

Greimas, Du sens II, (ibd), p: 113.

Jean yves Tadié, la critique littéraire au xx siècle, 1ère éd, belfond, 1987, paris, p: 215.

Levistrauss (claude), anthropologie structurale, 2 ème éd, plon; paris, 1973, p: 95.

Zilberberg, Sémitique, épistémologie et négativité. 1997, p: 121.